إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 21و22 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022

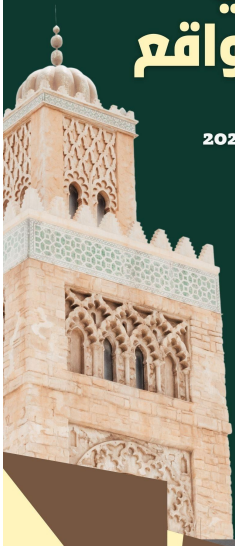

قراءة في تنزيل آيات الإصلاح الاجتماعي على الواقع عند عبد الرحمن الثعالبي من خلال كتابه: «الإرشاد لما فيه من مصالح العباد»

ط. د/ صلاح الدين خنوفه، إشراف: د/ عباس منصر
قسم الحضارة الإسلامية–معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
Khennoufa-salaheddine@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الأرض بقدرته، واصطفى ملك الموت لقبضته، واصطفى إسرافيل لنفخته، واصطفى جبرائيل لحمل رسالته، فالحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، والحمد لله الذي جعلنا من أمة اقرأ، والحمد لله الذي شرّف هذه الأمة بالوسطية، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له ملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهدا أنّ محمدا عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وخليله وحبيبه، أرسله ربه بالبيان فأظهر دينه القويم على سائر الأديان، وبعد:

لقد أنزل الله القرآن الكريم كمعجزة خالدة أبدية صالحة لكل زمان ومكان تساير الواقع الإنساني العالمي بمختلف دياناته، وقد جاء نزول القرآن لمقاصد عملية، منها عملية الإصلاح في المجتمعات المسلمة.

1.التعريف بالموضوع:

إنّ القرآن الكريم كان نزوله منجما على عهد رسول الله ﷺ لغايات عديدة كإصلاح المجتمع الجاهلي حينها تدريجيا، لكن تلك الآيات التي تحدثت عن الإصلاح الاجتماعي حينها هي أيضا صالحة لزماننا هذا بحكم تشابه القضايا في القديم والحديث، ولأن ميزة الآيات القرآنية تعالج القضايا الاجتماعية إلى قيام الساعة من مستجدات جديدة تحدث في كل عصر ومصر، وإنّ من بين العلماء الذين اهتموا بالإصلاح الاجتماعي فهما وتنزيلا على واقعهم الإمام عبد الرحمن الثعالبي، فيستنطق الآيات القرآنية ويستخرج منها الدرر النفيسة لإصلاح الأمة الإسلامية والمجتمع المسلم في الواقع المعاصر الذي يشهد العديد من التقلبات في فهم النصوص القرآنية وتطبيقها.

2.أهمية الموضوع:

• أنّ الإصلاح الاجتماعي يكون من خلال التطبيق العملي لآيات القرآن الكريم.

• صعوبة عملية الإصلاح الاجتماعي في الوقت الراهن.
• دهاء العلامة عبد الرحمن الثعالبي في إصلاح الواقع على مستوى القطر الجزائري.
• المكانة الكبيرة لعبد الرحمن الثعالبي على مستوى الغرب الإسلامي.
• تردي الأخلاق الاجتماعية وانحطاطها في عصر الثعالبي وفي عصرنا الحاضر.
• براعة عبد الرحمن الثعالبي على علماء عصره في تنزيل الآيات القرآنية على واقعه الذي عاش فيه.

3.الإشكالية:

من خلال استعراضي لأهمية الموضوع في العنصر السابق والتعريف به في العنصر الذي قبله، أطرح الإشكالات الآتية:

• من هو عبد الرحمن الثعالبي؟
• ما هو منهج عبد الرحمن الثعالبي في توظيف آيات الإصلاح الاجتماعي في كتابه الإرشاد؟
• ما هي أهم مجالات توظيف آيات الإصلاح الاجتماعي عند الثعالبي؟

4.الدراسات السابقة:

1.المقاصد الكبرى عند الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره من خلال الأحاديث النبوية، د.عبد المجيد بيرم، أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية، -جامعة الجزائر-.
2.التصوف في نظر الثعالبي، مكي عبد الكريم، جامعة تلمسان.

5.منهجية المعالجة والتقسيم:

-إنّ هذا النوع من المداخلات يقتضي معالجته بكيفيات ومناهج خاصة به لاسيما وأنّه يتعلق بالإصلاح، فارتأيت معالجته بالمناهج العلمية الآتية:

• المنهج التاريخي: حيث يبرز هذا المنهج في التعريف بعبد الرحمن الثعالبي.
• المنهج الوصفي: حيث تتضح معالمه ظاهرة في وصف كتاب الإرشاد لما فيه مصالح العباد.
• المنهج التحليلي: يبرز في تحليل الظاهر الاجتماعية من خلال الآيات وإسقاطها على الواقع.

وقد قمت بتقسيم المداخلة وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: ترجمة عبد الرحمن الثعالبي
المطلب الأول: اسمه ونشأته ومولده ووفاته
المطلب الثاني: مشايخه وتلاميذه
المطلب الثالث: مؤلفاته العلمية
المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد.
المطلب الأول: محتويات الكتاب.

المطلب الثاني: أهمية الكتاب.
المطلب الثالث:كتاب جامع لحكم مختارة من الجواهر الحسان.
المبحث الثالث: توظيف آيات الإصلاح الاجتماعي عند الثعالبي.
المطلب الأول:الإصلاح الاعتقادي للمجتمع.
المطلب الثاني: الإصلاح الاجتماعي.
المطلب الثالث: الإصلاح الروحي للمجتمع.

المبحث الأول: ترجمة عبد الرحمن الثعالبي.

سأتطرق في هذا المبحث للحديث عن بعض الأمور التي تتعلق بحياة عبد الرحمن الثعالبي، كاسمه ومولده ووفاته، والمشايخ الذين تتلمذ على يدهم وتلامذته الذين تتلمذوا على يديه، وأيضا عن الآثار العلمية التي ألّفها الثعالبي.

المطلب الأول: اسمه ونشأته ومولده ووفاته.

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجعفري الثعالبي الجزائري[1]، وهذا هو الاسم الذي دوّنه الثعالبي في مؤلفاته، أمّا الاسم الكامل الذي يحتوي سلسلة النسب فهو يمتد إلى الصحابة رضوان الله عليهم، وبالتحديد إلى جعفر ابن أبي طالب.

* فهو ثعالبي جعفري جزائري[2]، فأمّا الثعالبي هي نسبة إلى موطن الثعالبة الذين يعدون بطنا من بطون العرب قدموا من الجزيرة العربية إلى الجزائر وأقاموا بها، وكوّنوا إمارة الثعالبي بسهل متيجة، وأمّا نسبة الجعفري فهي تمتد إلى جعفر بن أبي طالب الطيار رضي الله عنه وهو ابن عم رسول الله ﷺ، والجزائري نسبة إلى جزائر بني مزغنة، وفي الوقت المعاصر نسبة إلى مدينة الجزائر، وبلد الجزائر.

* ويكنى الثعالبي بأبي زيد إذ يكنون كل من اسمه عبد الرحمن بها[3].

* ولد عبد الرحمن الثعالبي بناحية وادي يَسّر التي تقع بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر على بعد 86كم وتسمى في الوقت الراهن مدينة بومرداس، فكانت ولادته سنة 786هـ-1385م، إلا أنّه حصل خلاف في تاريخ مولده، والراجح هو ما ذكرته حسب ما ذكره المحققون من المؤرخين[4].

---

[1] ينظر: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، (ج2،ص280).
[2] ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، محمد الحجوي، (ج2،ص342) وجامع الأمهات في أحكام العبادات، عبد الرحمن الثعالبي، (ج1، ص 78).
[3] ينظر: المصدر نفسه، (ج1، ص78).
[4] ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد ابن سالم مخلوف، (ج1،ص382) وتاريخ الجزائر العام، الجيلالي، (ج2، ص280).

* نشأ عبد الرحمن الثعالبي في بيئة محافظة تحت ظلال أبيه وجده، فترعرع في كنفهما في واقع حسن صالح بالمنطقة التي وُلد بها، فَكَبُر على الصلاح والتقى والعبادة والعلم إلى أن أصبح شابا، فتعلّم العلم بمنطقته وتفقه وحضر دروس علمائها.

اشتغل رحمه الله منذ نعومه أظافره بحفظ القرآن الكريم التي هي العادة التي تعارف عليها من أراد أن يصبح عالما أو داعية أو إماما، ثم تعلم الكتابة والخط، ثم أصبح يطالع الكتب ويتعلم منها، وقد كان جادا في تحصيل العلوم النافعة في شتى الميادين، يقول عن نفسه في رحلته:" رحلت في طلب العلم في أواخر القرن الثامن، ودخلت بجاية في أوائل القرن التاسع، فلقيت الأئمة المقتدى بهم، أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي متوافرين، فحضرت مجالسهم، وكانت عمدة قراءتي بها على سيدي علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر"[1] ويُفهم من كلامه هذا أمور معينة وهي:[2]

1.أنّه نشأ منذ صغره في الطاعة والعبادة وطلب العلم، فكان شابا صالحا ملازما للخير معاشرا للعلماء، مقبلا على طلب الفائدة، أنفق شبابه في طلب المعالي حتى بلغ إلى أعلى المراتب.

2.أنّه قام برحلات في القرى والمناطق المجاورة قبل أن تنتهي به الرحلة إلى بجاية، أخذ خلالها عن الأئمة الموجودين بالمنطقة، فحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الأشياخ.

3.لم يكن منطويا على نفسه أو يميل إلى العزلة عن النّاس، فهو يخالط النّاس خاصة الأفاضل والأماثل ويتفاعل معهم ويحضر مجالسهم ليتعلم منهم.

4.أنّه كان يبلغ من العمر حين دخل بجاية18سنة.

كان معروفا عن عبد الرحمن الثعالبي أنّه من أهل الدين والورع والعبادة والزهد والسخاء والكرم والأمانة والحفظ القوي والذاكرة القوية وكان يقول لأتباعه:" فإن أردت يا أخي اللحوق بالمقربين، والكون في زمرة السابقين، فاطرح عنك دنياك، وأقبل على ذكر مولاك، واجعل الموت الآن نصب عينيك"[3].

*توفي الإمام عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله تعالى رحمة واسعة في صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وسبعين وثمانمائة للهجرة الموافق الخامس عشر من شهر مارس 1470م، فحُمل جثمانه من بيته القريب من الجامع الأعظم ودفن بالمقبرة المعروفة بجبانة الطلبة، تقع في ربوة خارج باب الوادي، وصارت تعرف باسمه[4].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، (ج1، ص11).
[2] جامع الأمهات في أحكام العبادات، عبد الرحمن الثعالبي، (ج1، ص82).
[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، (ج5، ص374).
[4] ينظر: تاريخ الجزائر العام، الجيلالي، (ج2، ص283).

لما توفي العالم الكبير عبد الرحمن الثعالبي ترك خلفه موجة من الحزن والألم لدى عموم الشعب الجزائري، وقد تأثر بوفاته تلامذته وأحبابه وأتباعه فكثر التأسف على رحيله إلى دار البقاء، وحضر جنازته خلق كثير وجمع عظيم من سكان مدينة الجزائر.

المطلب الثاني: مشايخه وتلاميذه.

إنّ من المعلوم ضرورة أن يصبح الإنسان عالما لا بد أن يكون سلك أطوارا من العلم على يد شيوخ تتلمذ على أيديهم، وأن يكون قد تدرّج في النهل من علمهم، وهو ما يساهم بشكل كبير وفعّال في تكوين شخصية الإنسان العالم فكريا وعقديا وسلوكيا، ومن هؤلاء عبد الرحمن الثعالبي الذي تتلمذ على يد عدد وفير من **المشايخ منهم**[1]:

- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد النقاوسي البجائي.
- أبو الحسن علي بن عثمان المنجلاتي البجائي الزواوي.
- علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي البجائي.
- أبو العباس أحمد ابن إبراهيم البجائي.
- أبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني.
- بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدالي البجائي.
- أبو الحسن علي بن محمد اليليلتني.
- أبو مهدي عيسى اليليلتني.
- علي بن موسى البجاوي.
- علي بن محمد البجاوي.
- أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد بن يحي الغبريني.
- أبو عبد الله محمد بن خلف بن عمر التونسي الوشتاني الأبي.
- أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزغبي التونسي.
- أبو العباس أحمد بن محمد الهنتاني التونسي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله القلشاني التونسي.
- أبو القاسم عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي.
- أبو محمد عبد الله بن مسعود بن علي القرشي التونسي.
- أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل بن إسماعيل البلوي القيرواني التونسي الشهير بالبرزلي.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي المعروف بالحفيد.

[1] ينظر:جامع الأمهات في أحكام العبادات، (ج1، ص139-150).

تلاميذه:

لقد اشتهر عبد الرحمن الثعالبي كثيرا في أقطار المعمورة قاطبة، وبلغ صيته كل مبلغ، فجاءه طلبة العلم من كل حدب وصوب لأخذ العلم عنه والتعلم على يديه، فتصدّر للتعليم والتدريس، وتعلّم على يديه نخبة من التلاميذ الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والمصلحين والدعاة، فقد أسهم هؤلاء المتخرجون على يد الثعالبي في العمل الإصلاحي بقوة كبيرة، فكانوا خير خلف لخير سلف لشيخهم الهمام، وسأذكر بعضا من تلاميذه لا على سبيل الحصر لأنهم كثر جدا، ومن هؤلاء[1]:

•أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري

•أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني التلمساني.

•أبو الحسن علسي بن محمد التالوتي الأنصاري

•أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بابن زروق.

•عيسى بن سلامة بن عيسى البسكري

•عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ثم القاهري الحنفي الشهير بابن الوزير.

•عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي.

•أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بابن مرزوق الكفيف.

•أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم محمد المغيلي التلمساني.

•نور الدين أبو الحسن علي بن عباد بن أبي بكر بن علي التستري البكري الفاسي المغربي.

• يعقوب بن عبد الرحمن بن يعقوب بن عبد الرحمن المغربي الفاسي المعروف بابن المعلم اليشفري.

•أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسي

•أبو عبد الله بن محمد بن علي الخروبي الطرابلسي.

•أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني

•أبو عمرو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن منظور القيسي المالقي.

المطلب الثالث: مؤلفاته العلمية.

إنّ عدد المشايخ الذين تتلمذ عليهم الثعالبي بالإضافة إلى الطلبة الذين عَلّمهم كان لزاما عليه أن يؤلف التآليف النافعة له كعالم ولتلامذته من بعده تبقى ذخرا لهم، وأيضا من خلال رحلته المطولة لشتى بقاع الأرض يطلب العلم إلى أن عُرِفَ عنده بمصطلح ما يسمى" الجهاد العلمي" فهذا إن دلّ إنّما يدل على الروح العالية التي كانت تتملكه تجاه طلب

[1] ينظر: المصدر السابق، (ج1، ص156-164).

العلم والتأليف والتدريس، وقد صنّف الثعالبي في فنون عدة ومتنوعة تدل على تبحره وسعة اطلاعه، وهي جامعة بين فني الرواية والدراية أو المعقول والمأثور، فأبدع وتفنّن في الكتابة والتأليف، وأضاف للمكتبة العلمية ثراء علميا ومعرفيا كبيرا، لهذا لقيت تآليفه قبولا ورواجا كبيرا في الأوساط العلمية وعند العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، ويذكر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في تاريخه :" اعتكف الشيخ على التدوين والتأليف وأغلب عمّه من ذلك خدمة علوم الشريعة المطهرة، وله في ذلك الباع الطويل فلقد ترك ما يزيد على التسعين مؤلفا بين متون وشروح وحواشي وتعاليق وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ"[1]، ومصنفاته متفاوتة الأحجام، وسأتطرق فيما يأتي لمؤلفاته العلمية النافعة[2]:

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
- المعجم المختصر.
- تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن.
- الذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض آي القرآن العزيز.
- المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع.
- نفائس المرجان في قصص القرآن.
- الأربعون حديثا المختارة.
- إرشاد السالك.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي.

وإنّ من مؤلفات الثعالبي التي تميّز فيها عن غيره من علماء عصره وزمانه وحتى الذين سبقوه والذين أتوا بعده مؤلفاته التي صبغها بالصبغة الأثرية الروحية وهي[3]:

- العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة.
- رياض الصالحين.
- الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة
- الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات
- نور الأنوار ومصباح الظلام.
- قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين.
- الأربعون حديثا في الوعظ والرقائق.

---

[1] تاريخ الجزائر العام، الجيلالي، (ج2، ص282).

[2] ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن سالم مخلوف، (ج1، ص382).

[3] ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (ج5، ص192) و معجم أعلام الجزائر-من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، (ص 374، 377، 400، 403، 404، 414) وتاريخ الجزائر العام، الجيلالي، (ج2، ص 282).

•الإرشاد لما فيه من مصالح العباد وهو الكتاب الذي قصدت دراسة جزء منه لما له تعلق وثيق جدا بعنوان المداخلة، وسأبين الترابط الوثيق في المبحث القادم إن شاء الله.

مناسبة المبحث الأول بموضوع الإصلاح الاجتماعي:

لهذا المبحث الأول بمطلبه الثاني صلة عميقة بموضوع الإصلاح الاجتماعي حيث إنّ ذكري لتلاميذ الثعالبي هو لتبيين مدى حرص الثعالبي على إخراج جيل نافعا لأمته يكون صالحا لنفسه مُصلحا لمجتمعه وهو ما قام بفعله هؤلاء التلاميذ حيث تفرقوا في أقطار الوطن وأصلح كل منهم واقعه الذي يعيش، وذكرت مشايخه للتدليل على رغبة الثعالبي في التعلم ومن ثم تطبيق العلم إلى عمل إصلاحي للمجتمع وللأمة قاطبة كما سيتضح في المباحث القادمة.

* إنّ للمطلب الثالث من هذا المبحث الذي تحدثت فيه عن مؤلفات الثعالبي رابطة قوية بينه وبين الإصلاح الاجتماعي، حيث يَدل كثرة تآليف الثعالبي على تنوع موضوعاتها الشرعية في جوانب عديدة وشتى، منها الإصلاح في الجانب الفقهي المتعلق بالعبادات والمعاملات، والإصلاح الاجتماعي المتعلق بالأفراد من ناحية الأخلاق الفردية، والأخلاق المجتمعية، وهذه المؤلفات طبّق الثعالبي مضمونها عمليا على واقعه الذي عاشه حينها، لأنّ من أهداف تأليفه للكتب هو نفع العباد وإصلاح كل ما أفسدته العادات والتقاليد المجتمعية التي انتشرت في المجتمع وأصبحت دينا في نظر العوام من النّاس.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإرشاد لما فيه مصالح العباد.

قرّرت في هذا الموضوع اختيار كتاب للثعالبي قد ضمّنه الحديث عن عملية الصلاح والإصلاح وهو المُسمّى بالإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ويبرز ذلك من خلال كلمتيْ" مصالح العباد" من العنوان، وكأنّ الثعالبي يريد أن يقول أنّ كتابي هذا أُرشد به النّاس والمجتمع إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: محتويات الكتاب.

اعتمد الثعالبي في كتابه على طريقة التبويب، أي تقسيم الكتاب إلى أبواب، وضمّن تحت بعض الأبواب فصولا معينة، وهذه الأبواب إجمالا هي:

باب في العقيدة، باب في السلوك، باب في فرائض الوضوء، باب في فرائض الغسل، باب في التيمم، باب في أحكام الصلاة، باب في من أخذ أموال النّاس، باب ما جاء في خروج عنق من النار، باب ما جاء في من كظم غيظا، باب ما يجب على الإنسان من محاسبة نفسه، باب ذكر وصية نافعة إن شاء الله، باب في ذكر الموت، باب منه، باب منه في مثال المسوف والموفق، باب في ذكر وصية توبيخ النفس، باب منه، باب في ذكر حديث البراء المشهور، باب ذكر ما ينكشف للعبد عند الموت وثواب من أدخل على مؤمن سرورا، تنبيه، باب في ذكر وصية ووعظ، باب في ذكر الموت والخوف من الله سبحانه، فصل في فضيلة الخوف، باب في

اتساع القبر على الرجل الصالح، باب ما جاء أنّ كل إنسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو النار، باب في كلام الحفظة وملك الموت عند الموت، باب في التوبة وشروطها، باب في تلاقي الأرواح وعرض الأعمال، باب الإسراع بالجنازة وكلامها، باب ذكر حكاية طويلة فيها وعظ ودعاء، باب ما جاء أنّ القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده، باب ما يتبع الميت إلى قبره، باب في كلام القبر كل يوم، باب ما ينجي من ضغطة القبر وفتنته، باب في حسن الثناء على الجنازة، باب في حديث الرؤيا، باب ما جاء أنّ البهائم تسمع عذاب القبر، فصل فيما رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء، باب ما جاء أنّ الميّت يسمع ما يقال، باب في حديث الرؤيا المتقدم عن البخاري، فصل، فصل، باب في أحوال الميت في قبره، باب في حديث إنّما الأعمال بالنيات، والحض على العمل وفضل الذكر وما يتبع العبد من حسن الثناء ومن نفّس عن مؤمن كربة، وفي أنّ من ختم القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه وكثرة الذكر، وفي حديث إذا أحب الله عبدا، وفي الجليس الصالح وفي إكرام ذي الشيبة، فصل في إثم من اغتاب مسلما أو خذله وفي النميمة والكذب والمراء، باب في التكبر والتواضع وحفظ الجار والصاحب والإحسان إلى اليتيم والأرملة والمسكين وعزل أذى الطريق وفرح الله بتوبة عبده وفي إثم من عادى لله وليا، باب ما جاء في البكاء من خشية الله، باب ما يحذر من محقرات الأعمال وفي المراقبة والحزن وفي قساوة القلب وآفة كثرة الضحك، باب في حسن الثناء على العبد وعلامة الولي وفي إثم من احتقر مسلما وفي ذم الدنيا والتنافر فيها وجملة أحاديث في الزهد، باب فيمن أطعم مؤمنا أو سقاه والخوف والحياء والتحذير من الدنيا وفي التواضع والإيثار ووعيد المتكبرين وفي كظم الغيظ وإصلاح ذات البين، باب فيمن نظر في دينه إلى من هو فوقه وأدنى أهل الجنة وذكر الرؤيا وبحار الجنة وفي ثلاثة يحبهم الله وفي ثلاثة يبغضهم، باب في اجتماع النبي ﷺ مع الملائكة وفضل كلام الله ووصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه والرضا بالقليل من الرزق وفي الصبر وطول العمر والتوكل وفيمن ترك شيئا لله سبحانه، باب في المواعظ والأمثال وأنواع الصدقات وما جاء في السخي والبخيل وفي كظم الغيظ، باب في آفات الرياء وفي أسواق الجنة وفي أنّ الله سبحانه جعل الرحمة مائة جزء، باب في علامة من أحبه الله سبحانه وفي الصمت وخطبة النبي ﷺ وسؤال جبريل عليه السلام، باب في فضل العلم ووصية لقمان وذكر الخصال التي كانت لسيدنا إبراهيم عليه السلام، باب من حمد الله وفي استجابة الدعاء وحكاية وهب بن منبه ومناجاة موسى عليه السلام وقصة عابد من بني إسرائيل، باب في تعظيم الحديث وفي علو الهمة عن الأكوان وفي اتباع السنة وعلامة الولي وفي المراقبة وجملة آداب وحكم مختصرة، باب في ذكر حكاية لثابت البناني وفضل المراقبة والخوف، باب في كلمات مختارة من حديث الداراني وحديث سويد بن الحارث وقول ابن أبي عاصم أصلح ما بقي، باب ما جاء أنّ الله سبحانه إنّما ذكر ثواب النوافل في ذكر كلمات وعظية، باب في المعرفة ودلائلها وأبيات لابن

الفارض وكلام حسن لإبراهيم الخواص وكلام لأبي حازم وحكاية عن جعفر بن محمد وحكم مالك، وذكر أبوابا لحكايات لعلماء أو صالحين في نظر الثعالبي.

باب في آداب الدعاء وفي دعاء إبراهيم لإسماعيل عليهما الصلاة والسلام وفي الاستعاذة من علم لا ينفع، باب في دعاء الحاجة، باب دواء في الوسوسة، باب ما جاء أنّ الدعاء موقوف بين السماء والأرض حتى يصلى على النبي، باب ما يدعى به عقب المجالس وفي القوم يتفرقون ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ، فصل فيما يدعو به في مرضه، باب دعاء الاستخارة، فصل فيما يقوله صباحا ومساء، باب منه، باب جامع في فضل الذكر وفي خسارة من مرت عليه ساعة لم يذكر الله فيها وعرض الساعات على العبد وفي فضل أذكار معينة، باب جامع لأنواع من الأذكار وما جاء أنّ غراس الجنة وبناءها بالأعمال الصالحات وفي الباقيات الصالحات... كتاب فضل تلاوة القرآن، فصل في تدبر القرآن وتفهمه وترتيله وتحسين الصوت به وفي أنّ كل إنسان ينبغي له أن يقدر أنّه المقصود بكل خطاب في القرآن.

المطلب الثاني: أهمية الكتاب[1].

لا شك أنّ أهمية كل كتاب تقوم أساسا على ما يحويه الكتاب من مواضيع، وقد سبق تقديمي لمحتوى الكتاب عموما، وبما أنّ المحتوى يرتكز على صلاح العبد في الدنيا والآخرة وإصلاح العباد في الدنيا للتزود ليوم الرحيل فإنّه يكتسي أهميته من هذا الجانب، وموضوع الكتاب هو الوعظ والإرشاد، وهذا دأب العارفين الذين حملوا همّ توجيه النّاس وإرشادهم وتعليمهم وإصلاحهم ظاهرا وباطنا، وسخّرهم سبحانه لخدمة دينه، ويسّر لهم سبل ذلك، فالتزموا بما أمر الله به العلماء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتذكير النّاس بآلاء الله عز وجل وآياته، والأخذ بأيديهم من طريق المهالك إلى أقوم المسالك، والترغيب والترهيب.

*كتب في جانب الإرشاد الروحي العديد من العلماء الكبار كأبي حامد الغزالي والحارث المحاسبي والجنيد البغدادي والنووي والقرطبي والسكندري والسمرقندي وغيرهم من العلماء المبرزين الذين اهتموا وصبغوا مؤلفاتهم بالصبغة الصوفية المعتدلة، إلا أنّ هذا الكتاب يبقى بينه وبين الكتب الأخرى فرق جوهري وهو التجربة التي مرّ بها كُلُّ عالم، وكيفية ترجمته لهذا البعد الروحي عمليا واجتماعيا على واقعه المعاش، وأيضا كيفية الاستفادة من تلك التجربة في واقعنا المعاصر لاسيما أنّ الثعالبي هو جزائري، فالبيئة الجزائرية تختلف اختلافا حقيقيا على باقي البيئات الأخرى.

*إنّ الناظر في هذا الكتاب لا يدري أيُصنّفه كتابا للحديث النبوي أو كتابا للتصوف المعتدل المبني على الكتاب والسنة، وهذا راجع لطبيعة الكتاب إذ يشتمل على أكثر من خمسمائة وألف حديث نبوي شريف، فهو عدد ضخم جدا، إلا أنّ المُتمَعّن في النظر فيه

[1] ينظر: الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، عبد الرحمن الثعالبي، (ص52-55).

يعلم يقينا أنّه كتاب في التصوف مستمد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومُدعّم بها.

*إنّ مما يُدلّلُ على أهمية الكتاب هو إيراد الثعالبي لتراجم بعض الصالحين، وحكايته عنهم كراماتهم التي حدثت لهم، وأخذ العبرة من تجاربهم .

*اشتمال هذا الكتاب على أبواب عدة من أبواب العلم، من التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأدب والتاريخ وغيرها، وقد أورد الثعالبي بعض النقولات كانّ يعدها المتخصصون مما زال أثره من الساحة العلمية ولم يعد موجودا، ككتاب" روضة الحقائق" لابن الخلال، و" التبتل" لابن عبد الغفور، و"رسائل التصوف" للشيخ الأنطاكي، و" الكلم الفارقية والحكم الحقيقية".

*يستمد هذا الكتاب أهميته أيضا أنّه آخر تأليف ألفه الثعالبي في حياته في سن متأخر من حياته فقال:" كمل كتابنا هذا المسمى بالإرشاد، في أواخر ربيع الأول من عام تسعة وستين وثمان مائة، وقد بلغت من السنّ نيّفا عن خمس وثمانين سنة، وهو آخر تأليف ألّفته، ولم آل في جمعه نصحا ولا ادّخرت وسعا"[1].

المطلب الثالث: فصل في حكم مختارة من الجواهر الحسان.

عقد الإمام الثعالبي عليه رحمة الله في كتابه الإرشاد فصلا ختم به الكتاب عنونه" كتاب جامع لجملة من الأحاديث وحكم مختارة من الجواهر وربّما تكرّر بعضها لفائدة وتفسير جمل من الآي وذكر ما يناسبها من الأحاديث والحكم" وعقد أيضا بابا سمّاه" باب جامع مشتمل على فصول محتوية على جواهر مختارة من الجواهر" انتخبهما الثعالبي من تفسير الذي سمّاه بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ليكون كتابه هذا حلقة من حلقات كتب التفسير المختصرة المعاصرة وفق النّسق الذي جرى عليه كثير من المفسرين المعاصرين يضعون فيه تأملات قرآنية أو هدايات وحكم ربانية وتوظيفها بحيث تصبح واقعا عمليا، ويفسر بعض آياته الكريمة أو يحلل ويستنبط، فالثعالبي اختار عددا معينا من الآيات القرآنية في السورة الواحدة، ونقل معها التفسير الذي يناسب موضوع الكتاب على سبيل العموم لكيلا يستطرد ويخرج عن المقصود ويطيل فيملُّ القارئ، فهو يهدف بهذا الانتخاب تشويق القارئ واستمتاعه بالشيء الذي كتبه.

*إنّ هذا الكُتَيّبُ الذي أخذه من تفسيره لم يسر فيها على طريقة الانتخاب الكلي لسور القرآن الكريم وآياتها، وإنّما الانتخاب الجزئي في آيات القرآن الكريم، والانتخاب الأغلبي في سور القرآن الكريم، أي من سورة البقرة إلى سورة الناس، وإنّما اقتصر على انتخاب آيات من ثلاث أرباع القرآن الكريم، أي من سورة الأنعام إلى سورة النّاس حسب ما أورده في هذا الكُتَيّبُ كما قال هو رحمه الله عند انتهائه من المعوذتين فقال:" قلت: هنا انتهى بنا ما

[1] المصدر السابق، ص670.

اخترناه من جواهر الأحاديث وبالله التوفيق"[1] وسأذكر نموذج لإيراده هذه الحكم في كتابه[2]:

قوله سبحانه:﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[3] ،قال الثعالبي[4]:" زيادة في التحذير، قال النووي: وروينا في كتاب" ابن السني" عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: سِتر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه: بسم الله الذي لا إله إلا هو[5]. وعن علي رضي الله عنه أنّ النّبي ﷺ قال:" ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخلوا الكنف أن يقولوا بسم الله"[6]، رواه الترمذي وقال إسناده ليس بالقوي".

مناسبة هذا المبحث بمطالبه الثلاثة بموضوع الإصلاح الاجتماعي:

*أنّ محتويات الكتاب كلها لها علاقة وطيدة بالإصلاح الاجتماعي للأفراد والمجتمع، حيث ساهم الثعالبي بهذا الكتاب في إصلاح المجتمع الذي كان يعيش فيه، ومحتويات الكتاب تعكس الصورة الاجتماعية التي كان يعيشها الشعب الجزائري، فبالتالي هو كتاب وظفّه الثعالبي على واقعه، فجمع صفتي أنّه كتاب علم وعمل.

*علاقة أهمية الكتاب بموضوع الإصلاح الاجتماعي هو أنّ هذا الكتاب يصلح أن يكون كتاب إصلاح للمجتمع ولا أدلّ على ذلك من عنوانه المحتوي على مصالح العباد، ويمكننا أن نوظفه واقعيا كذلك في واقعنا المعاصر وسأبيّن ذلك في الجزء التطبيقي.

*علاقة الكتيب الذي انتخبه الثعالبي من تفسيره بالإصلاح الاجتماعي هو أنّه ضمّن تفسيره للآيات القرآنية هدايات وأحكام عملية تطبيقية تساهم بشكل فعّال في عملية الإصلاح، ووظّف آيات القرآن عمليا لا أن يبقى تفسيريا نظريا، فأشار إلى كل موضوع فيه إفادة للمجتمع في ثنايا تفسيره للآيات التي اختارها في الإرشاد.

المبحث الثالث: توظيف آيات الإصلاح الاجتماعي عند الثعالبي.

لقد عرّج الإمام عبد الرحمن الثعالبي كثيرا في تفسيره للآيات التي تحدّثت عن الإصلاح إلى جعل النّص القرآني وظيفيا في حياة المجتمعات لا أن يبقى حبيسا عند شرح ألفاظ

---

[1] المصدر السابق ص640.

[2] المصدر نفسه، ص461.

[3] سورة الأعراف: 27.

[4] المصدر السابق، ص461.

[5] الأذكار، النووي، باب أذكار اليوم والليلة، باب ما يقول إذا خلع ثوبه لغسل أو نوم أو نحوهما، (ج1، ص62) رقم: 125.

[6] سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، أبواب السفر، باب ذكر من التسمية عند دخول الخلاء، (ج2، ص503) رقم:606. وقال:" هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بذاك القوي، وقد روي عن أنس، عن النّبي صلى الله عليه وسلم أشياء في هذا"، وقال الألباني: حديث صحيح، واللفظ:(إذا دخل أحدهم الخلاء) في سنن الترمذي.

الآيات والمسائل النحوية والإعرابية، وهذا إن دلّ إنّما يدل على حرص الإمام الثعالبي لتحقيق مقاصد القرآن الكريم التي نزل من أجلها، فهو العمدة في إصلاح المجتمعات، وسأورد نموذجين تطبيقيين لكل مطلب حتى تتضح الصورة أكثر.

المطلب الأول: الإصلاح الاعتقادي للمجتمع.

*** ثبات القلوب على دين الله:**

نجد الإمام الثعالبي في كتابه الإرشاد لما فيه مصالح العباد يؤكد على ثبات القلوب على دين ربّ العالمين، وأن يكون هذا الثبات عمليا وواقعيا لا مجرد كلام باللسان والقول، فإنّ القول وحده ما يكفي بل الواجب الاعتقاد والقول والفعل، حيث نراه يقول[1]:" عند قوله سبحانه:﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[2] فيه تأويلات، أقربها ما حكاه مكي عن الطبري، قال: هذا خير من الله عزّ وجلّ أنّه أملك لقلوب العباد منهم لها، وأنّه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئا من إيمان ولا كفر ولا يعي شيئا ولا يفهم شيئا إلا بإذنه ومشيئته سبحانه، وقد كان النّبي ﷺ كثيرا ما يقول في دعائه:" يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك" قلت ولفظ الترمذي: عن شهر بن حوشب قال:" قلت لأمّ سلمة رضي الله عنها، يا أمّ المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك، قالت كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت قلت يا رسول الله ما أكثر دعاءك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قال يا أم سلمة إنّه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ وتلا معاذ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾[3] وفي الباب عن عائشة والنّواس بن سمعان وأنس وجابر وعبد الله بن عمرو ونُعيم بن همار، قال وهذا حديث حسن"[4].

-يعالجُ الإمام الثعالبي قضية معاصرة ابتلي بهذا كثير من المسلمين في المجتمعات المسلمة وهي عدم الثبات على دين الله، تجد منهم من هو متقلب في مستنقعات الشهوات، ومنهم من يهاجم هذا الدّين من الحداثيين والعلمانيين الذي هو دينه وغيرهم، فقد قدّم الثعالبي حلا من الحلول الوظيفية وهو الدعاء بتثبيت القلب على دين رب العالمين.

*** عمارة المساجد:**

تطرّق الإمام الثعالبي إلى علاقة المسلم بالمسجد، حيث أنّ هذه العلاقة هي أساس صلاح الفرد المسلم ومن ثَمّ إذا صَلُحَ الفرد صَلُحَ المجتمع المسلم،قال الثعالبي[5]: قوله

---

[1] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص463.

[2] سورة الأنفال:24.

[3] سورة آل عمران: 8.

[4] سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، أبواب الدعاء، باب، (ج5، ص423) رقم:3522.

[5] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص 464.

سبحانه:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[1]،قال ابن عطية: لفظ هذه الآية الخبر، وفي ضمنها أمر المؤمنين بعمارة المساجد، وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النّبي ﷺ قال:" إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" قال الثعالبي: زاد ابن الخطيب في روايته:" فإنّ الله تعالى يقول:﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، وفي الحديث عنه ﷺ أنّه قال:" إنّ الله ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمن والأمان والجواز على الصراط يوم القيامة"[2] خرّجه علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب له، وروى البغوي أيضا في هذا المسند عن النبي ﷺ أنّه قال:" إذا أوطن الرجل المساجد بالصلاة والذكر، تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب لغائبهم إذا قدم عليهم"[3]. قيل: ومعنى يتبشبش: يفرح به. انتهى من الكوكب الدري.

يرى الثعالبي أنّ الرجل المسلم الذي يراود المسجد أنّه من أهل الإيمان لأنّ المؤمنين وحدهم هم الذين يكونون عُمّارا للمساجد، فمن كان يعمر المساجد وهو من المؤمنين حتميا سيكون مصلحا لمجتمعه نافعا له، لأنّه أصلح نفسه أولا بعمارته للمسجد، والله تعالى يفرح بهم، فمن كان معتقدا هذا المعنى فقد أفلح وفاز في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: الإصلاح الاجتماعي.

*** الإنفاق في سبيل الله:**

قوله سبحانه:﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]

قال الثعالبي[5]: وحدّث أبو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهم، عن النّبي ﷺ أنّه قال:" إنّ الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم، فإن منعوهم حتى يجوعوا ويعروا ويجهدوا، حاسبهم الله حسابا شديدا وعذّبهم

---

[1] سورة التوبة: 18.

[2] مسند البزار، البزار، مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، (ج10، ص85) رقم:4152، وقال: وهذا الحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو كلامه بغير لفظه، ولا نعلم هذا اللفظ يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه، وهو حسن الإسناد.

[3] سنن ابن ماجه، أبو عبد الله ابن ماجه، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، (ج1، ص262) رقم:800 واللفظ:" ما توطّن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشتبش الله له، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم" قال محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[4] سورة التوبة: 34.

[5] المصدر السابق، ص464.

عذابا نكرا"[1].

يُحذّر الإمام الثعالبي من خطورة عدم الإنفاق على اليتامى من طرف الأغنياء، فهو سبب لأن يُصيبهم الجوع والعراء، وهذا للأسف المجتمع المسلم واقع فيه اليوم حيث إنّ نسبة الفقر والمجاعة في العالم الإسلامي مرتفعة جدا، فمن أسبابها الشح والبخل وعدم الإنفاق على اليتامى، فالواجب على الأغنياء إخراج زكاة أموالهم وصدقاتهم لكي يساهموا في إصلاح الأوضاع الاجتماعية للمجتمع المسلم، وحتى لا ينالهم الوعيد الشديد الوارد في الآية وهو التبشير بالعذاب الأليم في الآخرة.

*** التكافل الاجتماعي:**

قوله سبحانه: ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2] قال الثعالبي[3]:" وهذه الآية الكريمة عامة في أنواع الخيرات، ومن أعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله، مواساة الفقراء وأهل الحاجة، وقد روى أبو داود والترمذي عن النبي ﷺ أنّه قال:" أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري، كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة، أيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم"[4] وروى علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب عن النّبي ﷺ أنه قال: أيما مسلم كسا مسلما ثوبا، كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة"[5] وروى ابن أبي شيبة في مسنده عن النّبي ﷺ أنّه قال:" أيما أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا، فقد برئت منهم ذمة الله"[6].

ينوّه الإمام الثعالبي في هذه الآية أنّ على الإنسان أن يفعل كل الخير الذي يقدر عليه، لأنّ بفعل الخيرات تتحصن المجتمعات وتتطور، ويعوّض الله فاعل الخير في الدنيا والآخرة على ما فعله في الدنيا من خير كالشفقة على خلق الله ومواساة الفقراء وأهل الحاجات، وهكذا يتحقق الإصلاح في المجتمع وتتحقق اللحمة المجتمعية والأخوة الإيمانية، وهو ما يجب أن نذكّر به عموم المسلمين في واقعنا المعاصر الذي يشهد تحطما كبيرا من الناحية الاجتماعية.

---

[1] تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ذكر من اسمه محمد واسم أبيه سعيد، محمد بن سعيد بن عمرو أبو عبد الله المروزي يعرف بالبورقي(ج3، ص244). قال صاحب كنز العمال:" الخطيب في تاريخه وابن النجار عن علي وفيه محمد ابن سعيد البورقي كذاب يضع"، وقال أبو نعيم في الحلية:" هذا حديث غريب من حديث محمد ابن الحنفية لا يعرف إلا من هذا الوجه".

[2] سورة الحج: 77.

[3] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص506-507.

[4] سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، باب في المنيحة، (ج3، ص110) رقم:1683. وقال: إسناده حسن، وسنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (ج4، ص214) رقم:2449. وقال: هذا حديث غريب وقد روي هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوفا، وهو أصح عندنا وأشبه.

[5] المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (ج4، ص217) رقم:7422. وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واللفظ:" من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك".

[6] مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، كتاب البيوع والأقضية، باب في احتكار الطعام،(ج4، ص302) رقم:20396 بزيادة:" من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله، وبرئ الله منه".

المطلب الثالث:الإصلاح الروحي للمجتمع.

*** الاعتراف بالذنب:**

قوله سبحانه:﴿ **وءاخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم**﴾[1] قال الثعالبي[2]: "قال أبو عثمان: هذه أرجى آية لهذه الأمة، قلت: روى البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال:" أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلى مدينة مبنية بلين ذهبا ولين فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا لي هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا أمّا القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنّهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتجاوز الله عنهم"[3].

يرشدنا الثعالبي من خلال هذه الآيات إلى إصلاح المرء لنفسه، وذلك بالاعتراف بالذنب عند ارتكابه، لأن الاعتراف بالذنب هو أول خطوات إصلاح النفس البشرية، وهي المشكلة التي نعاني منها في مجتمعنا المسلم وهي عدم الاعتراف بالخطأ لأنهم يرون أن الإقرار بالذنب ضعف ومهانة للإنسان، بينما الثعالبي لكي يعلو بالنفس إيمانيا يبشر الفرد المسلم أن الاعتراف بالذنب هو طريق إلى جنة عرضها السماوات والأرض في صورة تجعل النفوس طاهرة مطهرة نقية.

*** تطهير النفس:**

قوله سبحانه: ﴿ **وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً**﴾[4]، قال الثعالبي[5]: قال ابن عطية: الحاجة الحسد في هذا الموضع. قال الثعالبي: وروى الترمذي الحكيم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النّبي ﷺ أنّه قال:" إنّ بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنّة بكثرة صوم ولا صلاة إنّما دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة الأنفس، وحسن الخلق، والرحمة لجميع المسلمين" والإيثار على النفس أكرم الخلق. قال أبو يزيد البسطامي: قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لي: ما حدُّ الزهد عندكم، فقلتُ: إذا وجدنا أكلنا، وإذا فقدنا صبرنا، فقال: هكذا عندنا كلاب بلخ، فقلت له: فما هو عندكم، فقال: إذا فقدنا صبرنا، وإذا وجدنا آثرنا. قوله سبحانه: ومن يوق شح نفسه فأولائك هم المفلحون قال ابن عطية: وشح النفس فقر لا يذهبه غنى المال بل يزيده ويَنصب به.

---

[1] سورة التوبة: 102.

[2] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص468.

[3] صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم﴾ التوبة:95، (ج6، ص69) رقم:4674.

[4] سورة الحشر: 9.

[5] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص611.

ينبه العلامة عبد الرحمن الثعالبي إلى ضرورة تطهير النفس من الحسد والشح والبخل الذي هو متلبس بكثير من المسلمين في واقعهم اليوم، فتوظيف هذه الآيات يكون بالتزام المسلم بالإيثار وعدم حسد النّاس، حتى أدّى ذلك بالثعالبي لإيراد أثرا عن البسطامي في الصبر على الفقر والزهد فشبّهه الذي قدم عليه بأنّ كلاب بلخ هكذا، وهو أثر أيضا ورد بين شقيق البلخي وإبراهيم بن أدهم، لهذا فالمسلم لا يحمل حسدا في قلبه ولا في صدره ويؤثر غيره على نفسه، فالإيثار أن يُقَدّم الإنسان حقوق الخلق على حقّه لا يُفَرّق في ذلك بين قريب أو بعيد أو صاحب وهي أسمى سمات طهارة الروح.

خـاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث أخْلُصُ إلى النّتائج الآتية:

1.يعتبر عبد الرحمن الثعالبي مِنْ كِبار عُلَمَاء عصره تأليفا وتدريسا، ومِنَ المُهتمين بأحوال عصره وما طرأ فيه من تقلبات وأحداث على كافة المستويات وهذا هو الواجب على العلماء.

2.يعتبر كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد من أفضل الكتب التي تحدّثت في موضوع الإصلاح الروحي في القرآن الكريم والسنة النبوية، والترغيب والترهيب، والزهد والفضائل.

3.منهج الثعالبي في الإصلاح الاجتماعي في كتابه يُماثل منهج تفسير آيات القرآن بالسنة النبوية، حيث يورد الآية ومعناها ويُدعّمُ ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة.

4.يرتكز الثعالبي في كتابه على جانب الإصلاح الروحي للمجتمع المسلم بشكل أكبر، فنجده يكثر من أحاديث الترغيب والترهيب أثناء تفسيره للآيات.

5.تنزيل الثعالبي للآيات القرآنية السالفة الذكر على الواقع ليس تنزيلا صريحا، إنّما يسير في معالجته للواقع بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

التوصيات:

1.التجسيد العملي لعملية إعادة الاعتبار لكبار علماء المغرب الإسلامي وعلماء الجزائر خصوصا، وعلى رأسهم العلامة عبد الرحمن الثعالبي.

2.الاهتمام بتراث عبد الرحمن الثعالبي المطبوع، والبحث والتنقيب عن المفقود منه، وتحقيق المخطوط منه.

3.إمكانية اعتبار كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد للثعالبي كمقرر جامعي، واستحداث مقياس لتدريسه بعِنوان الترغيب والترهيب في القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

1.الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة:1، 1425هـ- 2004م.

2.الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، عبد الرحمن الثعالبي، حقق أصوله وقدّم له: محمد فؤاد بن الخليل القاسمي الحسني، الناشر: عالم المعرفة، الجزائر، سنة:2011م.

3.تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن محمد الجيلالي، الناشر: مكتبة الشركة الجزائرية-دار

مكتبة الحياة، الطبعة:2 الأجزاء:2، الجزائر، سنة: 1384هـ-1965م.
4.تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 16، بيروت، سنة: 1422هـ - 2002 م.
5.جامع الأمهات في أحكام العبادات، عبد الرحمن الثعالبي، دراسة وتحقيق: د. موسى إسماعيل، الناشر: عالم المعرفة، الأجزاء:2، الجزائر، سنة:2011م.
6.الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، الطبعة:1، بيروت، سنة:1418هـ.
7.سنن ابن ماجه، بن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عدد الأجزاء: 2.
8.سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، عدد الأجزاء: 7، الطبعة:1، سنة:1430هـ - 2009م.
9.سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 5، الطبعة:2،سنة:1395 هـ - 1975م.
10.شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن سالم مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:1، الأجزاء:2، لبنان، سنة:1424هـ-2003م.
11.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 9، سنة: 1422هـ
12.الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:1، الأجزاء:2، بيروت-لبنان، سنة:1416هـ-1995م.
13.المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 4، بيروت، سنة: 1411هـ – 1990م.
14.مسند البزار، أبو بكر أحمد العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم، عدد الأجزاء: 18، الطبعة:1، المدينة المنورة.
15.مصنف بن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة:1، عدد الأجزاء: 7، الرياض، سنة: 1409هـ.
16.معجم أعلام الجزائر مِن صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة:2، بيروت-لبنان، سنة:1400هـ-1980م.
17.معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى-دار إحياء التراث العربي، الأجزاء:15، بيروت.